بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد الأمين

الإِسْراءُ والمِعْراجُ:

المُعْجِزَةُ العَظِيمَةُ

يَقُولُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى في سُورَةِ الإِسْراءِ ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١**﴾.

تَمُرُّ عَلَيْنا في شَّهْرِ رَجَب ذِكْرَى الإِسْراءِ والمِعْراج، فَإِنَّها مُناسَبَةٌ سامِيَةٌ لِذِكْرَى راقِيَةٍ يُحْتَفَلُ بِها لِعَظِيمِ مَدْلُولِها وجَلالِ قَدْرِها، كَيْفَ لا وهِيَ مُعْجِزَةٌ كُبْرَى خُصَّ بِها مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ العَرَبِيُّ الأَمِينُ وخاتَمُ النَّبِيِّينَ صَلَواتُ رَبِّي وسَلامُهُ عَلَيْهِ فَكانَ إِسْراؤُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ إِلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الشَّرِيفِ ومِعْراجُهُ إِلى السَّمَواتِ العُلَا ووَصْفُهُ الأَقْصَى لِأَهْلِ مَكَّةَ وَصْفًا دَقِيقًا دَلِيلًا قاطِعًا وبُرْهانًا ساطِعًا عَلى صِدْقِ دَعْوَتِهِ وحَقِّيَّةِ نُبُوَّتِه.

إِنَّ مُعْجِزَةَ الإِسْراءِ ثابِتَةٌ بِنَصِّ القُرْءانِ والأَحادِيثِ الصَّحِيحَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لِذَلِكَ قالَ العُلَماءُ إِنَّ مَنْ أَنْكَرَ الإِسْراءَ فَقَدْ

كَذَّبَ القُرْءانَ والَّذِي يُكَذِّبُ القُرْءانَ لا يَكُونُ مِنَ المُسْلِمِين. وكانَ إِسْراءُ النَّبِيِّ محمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لَيْلًا بِالرُّوحِ والْجَسَدِ يَقَظَةً، ولَيْسَ ذَلِكَ بِعَزِيزٍ عَلى الله.

مِنْ بَيْتِ أُمِّ هانِئٍ مِنْ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ بَدَأَ الإِسْراءُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، وفِي المَسْجِدِ الحَرامِ أَرْكَبَهُ سَيِّدُنا جِبْرِيلُ البُرَاقَ وهُوَ دَابَّةٌ مِنْ دَوَابِ الجَنَّةِ يَضَعُ حافِرَهُ عِنْدَ ءاخِرِ مَدَى بَصَرِهِ، فَرَكِبَ النَّبِيُّ خَلْفَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، ومَرَّ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ قَبْلَ أَنْ يُهاجِرَ إِلَيْها، فَنَزَلَ وصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ مَرَّ بِمَدْيَنَ مَدِينَةِ النَّبِيِّ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَنَزَلَ وصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بِطُورِ سَيْنَاءَ فَنَزَلَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بِبَيْتِ لَحْمٍ حَيْثُ وُلِدَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ فَنَزَلَ وصَلَّى رَكْعَتَيْن، حَتَّى وَصَلَ إِلى بَيْتِ المَقْدِسِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ بُنِيَ لِعِبادَةِ اللهِ تَعالى بَعدَ بِناءِ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ فِي زَمَنِ ءادَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَرَبَطَ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ البُرَاقَ بِالحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِها الأَنْبِياءُ، ودَخَلَ المَسْجِدَ وقَدْ جَمَعَ اللهُ لَهُ جَمِيعَ الأَنْبِياءِ تَشْرِيفًا لَهُ وتَعْظِيمًا وقَدَّمَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ إِمامًا لَهُمْ جَمِيعًا لِبَيانِ مَرْتَبَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وفَضْلِهِ عَلَيْهِم، وقَدْ أَخَذَ اللهُ العَهْدَ قَبْلَ ذَلِكَ عَلى كُلِّ نَبِيٍّ أَنَّهُ إِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ولَيَنْصُرَنَّهُ، وأَمَرَ كُلَّ نَبِيٍّ قَوْمَهُ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ العَهْدِ، فَكانَ كُلُّ نَبِيٍّ يَعْرِفُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَراهُ.

ورَأَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في إِسْرائِهِ إِلى بَيْتِ المَقْدِسِ الدُّنْيا بِصُورَةِ عَجُوزٍ إِشارَةً إِلى أَنَّ الدُّنْيا إِلى زَوالٍ وما بَقِيَ مِنْ مُدَّتِها إِلاّ القَلِيل.

ورَأَى أُناسًا تُرْضَخُ أَيْ تُكَسَّرُ رُؤُوسُهُمْ ثُمَّ تَعُودُ كَما كانَتْ، فَقالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ **يا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلاءِ** فَأَخْبَرَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّ هَؤُلاءِ هُمُ الَّذِينَ تَتَثاقَلُ رُؤُوسُهُمْ عَنْ تَأْدِيَةِ الصَّلاة.

ورَأَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ثَوْرًا يَخْرُجُ مِنْ مَنْفَذٍ ضَيِّقٍ ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يَعُودَ فَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعُودَ إِلى هَذا المَنْفَذِ فَقالَ لَهُ جِبْرِيلُ هَذا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ الفاسِدَةِ الَّتِي فِيها ضَرَرٌ عَلى النّاسِ وفِتْنَةٌ ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّها فَلا يَسْتَطِيع.

وأَمَّا الجُزْءُ الثانِي مِنَ المُعْجِزَةِ العَظِيمَةِ أَلاَ وهُوَ عُرُوجُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ إِلى السَّماواتِ العُلاَ.

عُرِجَ بِالنَّبِيِّ محمَّدٍ إِلى السَّماءِ عَلى مِرْقاةٍ حَتَّى بَلَغَ السَّماءَ الأُولى. رَوَى مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسَلَّمَ قالَ **فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ** أَيْ طَلَبَ جِبْرِيلُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُما بابُ السَّماءِ الأُولى وذَلِكَ لِأَنَّ السَّماواتِ أَجْسامٌ كَثِيفَةٌ ولِكُلِّ سَماءٍ بابٌ **فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قالَ جِبْرِيلُ قِيلَ ومَنْ مَعَكَ قالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ** أَيْ وقَدْ أُمِرَ بِالعُرُوجِ إِلى السَّماء، **قالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْه، فَفُتِحَ لَنا فَإِذا أَنا بِآدَمَ**

فَرَحَّبَ بِي ودَعا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنا إِلى السَّماءِ الثانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قالَ جِبْرِيلُ قِيلَ ومَنْ مَعَكَ قالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنا فَإِذا أَنا بِابْنَيِ الخالَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ويَحْيَى بْنِ زَكَرِيّاءَ فَرَحَّبا ودَعَوَا لي بِخَيْرٍ. وهَكَذا ظَلَّ نَبِيُّنا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَنْتَقِلُ مِنْ سَماءٍ إِلى سَماءٍ فَالْتَقى في بَاقِي السَّمَاوَاتِ عَدَدًا مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُم يُرَحِّبُ بِهِ وَيَدْعُو لَهُ بِالخَيْرِ. فَالْتَقى في السَّماءِ الثالِثَةِ بِنَبِيِّ اللهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ووَصَفَهُ بِأَنَّهُ أُوتِيَ شَطْرَ الحُسْنِ أَيِ الجَمالِ، والْتَقى نَبِيَّ اللهِ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلامُ في الرابِعَةِ ثُمَّ نَبِيَّ اللهِ هارُونَ عَلَيْهِ السَّلامُ في الخامِسَةِ ثُمَّ نَبِيَّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ في السادِسَةِ وأَمّا في السَّماءِ السابِعَةِ فَالْتَقى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بِنَبِيِّ اللهِ إِبْراهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلى البَيْتِ الْمَعْمُورِ وإِذا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْه وفِي هَذا دَلِيلٌ عَلى كَثْرَةِ المَلائِكَةِ حَيْثُ إِنَّ مَنْ دَخَلَهُ مِنَ المَلائِكَةِ لا يَرْجِعُ إِلَيْهِ مَعَ كَوْنِ البَيْتِ المَعْمُورِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْهُم. ثُمَّ ذُهِبَ بِالنَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ إِلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ووَصَفَها رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بِأَنَّ وَرَقَها كَآذانِ الفِيَلَةِ وثِمارَها كَالقِلالِ أَيِ الجِرارِ العَظِيمَةِ فَلَمّا غَشِيَها مِنْ أَمْرِ اللهِ ما غَشِيَ أَيْ لَمَّا نَزَلَ عَلَيْها ما نَزَلَ وهُوَ فَراشٌ مِنْ ذَهَبٍ فَما أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَها مِنْ حُسْنِها.

إِنَّ المَقْصُودَ مِنَ الْمِعْراجِ تَشْرِيفُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بِإِطْلاعِهِ عَلى عَجائِبِ العالَمِ العُلْوِيِّ وتَعْظِيمُ مَكانَتِهِ ولَيْسَ الأَمْرُ كَما يَدَّعِي بَعْضُ الَّذِينَ لا فِقْهَ لَهُمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْمِعْراجَ هُوَ وُصُولُ النَّبِيِّ إِلى مَكانٍ يَنْتَهِي فِيهِ وُجُودُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ فَالنَّبِيُّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِاللهِ كَما يَجْتَمِعُ المَخْلُوقُ بِالمَخْلُوقِ لِأَنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عَنِ التَّحَيُّزِ فِي المَكانِ والجِهَةِ لِأَنَّهُ تَعالى لَيْسَ جِسْمًا إِنَّما التَّحَيُّزُ مِنْ صِفاتِ الأَجْسامِ وَهُوَ تَبارَكَ وتَعالى لا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ كَما قالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ في سُورَةِ الشُّورَى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴿١١﴾**﴾ فَلا يَجُوزُ الالْتِفاتُ إِلى ما هُوَ مَذْكُورٌ في بَعْضِ الكُتُبِ مِمَّا هُوَ كَذِبٌ مِنْ أَنَّ اللهَ دَنا مِنْ مُحَمَّدٍ حَتَّى صارَ مِنْهُ قَدْرَ ذِراعٍ أَوْ أَقْرَبَ فَإِنَّ هَذا كُفْرٌ وضَلالٌ ولا يَصِحُّ حَمْلُ الآيَةِ ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾**﴾[1] عَلَى أَنَّ الْمُرادَ اقْتِرابُ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ بِالمَسافَةِ مِنَ اللهِ تَعالى وإِنَّما المُرادُ هُنا جِبْرِيلُ كَما قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها عِنْدَما سُئِلَتْ عَنْ قَوْلِهِ تَعالى في سُورَةِ النَّجْمِ ﴿**وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**

1 سورة النجم /8-9

﴿إِنَّما هُوَ جِبْرِيلُ اهـ [رواه البخاري] أَيْ دَنا جِبْرِيلُ مِنْ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَدْرَ ذِراعَيْنِ بَلْ أَقْرَبَ شَوْقًا إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم. فَلا يَجُوزُ وَصْفُ اللهِ تَعالى بِالقُرْبِ بِالْمَسافَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفاتِ الأَجْسامِ الَّتِي تَشْغَلُ الأَماكِنَ وتَتَحَيَّزُ في الجِهاتِ واللهُ تَعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الأَماكِنِ والجِهاتِ بِإِجْماعِ الْمُسْلِمِينَ كَما قالَ الإِمامُ أَبُو مَنْصُورٍ البَغْدادِيُّ وأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ تَعالى لا يَحْوِيهِ مَكانٌ اهـ [انظر الفرق بين الفرق]

فَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى كانَ مَوْجُودًا في الأَزَلِ قَبْلَ خَلْقِ الأَماكِنِ والجِهاتِ بِلا جِهَةٍ ولا مَكانٍ وهُوَ سُبْحانَهُ وتَعالى باقٍ عَلَى ما كانَ بِلا جِهَةٍ ولا مَكانٍ. عَصَمَنا اللهُ مِنْ زَيْغِ الاِعْتِقادِ وثَبَّتَنا عَلَى عَقِيدَةِ الأَنْبِياء.

كَلامَ اللهِ تَعالى لَيْسَ كَكَلامِ الخَلْقِ نَحْنُ كَلامُنا بِالحَرْفِ والصَّوْتِ واللُّغَةِ وأَمّا كَلامُ اللهِ فَلَيْسَ بِصَوْتٍ ولا حَرْفٍ ولا لُغَةٍ فَإِنَّ الأَصْواتَ والحُرُوفَ واللُّغاتِ مَخْلُوقَةٌ للهِ تَعالى وقَدْ نَفَى رَبُّنا في كِتابِهِ العَزِيزِ مُشابَهَةَ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ لَهُ بِأَيِّ وَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ حَيْثُ قالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ ومِنْ هُنا لا يَصِحُّ اعْتِقادُ أَنَّ الرَّسُولَ وَصَلَ إِلى مَكانٍ فَاسْتَوْحَشَ فَكَلَّمَهُ اللهُ بِصَوْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَإِنَّ هَذا افْتِراءٌ عَلى الدِّينِ وضَلالٌ وتَشْبِيهٌ للهِ بِخَلْقِهِ وجَهْلٌ بِالخالِقِ وكُفْرٌ بِهِ أَجارَنا اللهُ وإِيّاكُمْ مِنْ فَسادِ الاِعْتِقادِ.